محاولة في فهم أفكار جاك ديريدا

عرض : أحمد منور

يعد جاك ديريدا أحد أشهر أقطاب الفلسفة المعاصرة في فرنسا ، بل أشهرهم من الأحياء ، بعد رحيل رفقائه على درب الفكر : ليفي ستروس ، ورولان بارت ، وميشال فوكو ، ويختلف الباحثون في شأن تصنيفه بين البنويين[☆] ، فهناك من يعده منهم ، لأن منهجه قام أساساً على نقد نصوصهم ونقضها ، وهناك من يعده لأجل ذلك زعيماً لتيار جديد هو ما يعرف بتيار ما بعد البنوية[1] post-structurralisme ، علما أن هذه التسمية الأخيرة قد جاءت من أمريكا ، حيث تجد أفكار دريدا رواجاً كبيراً ، ويشير هو نفسه في «رسالة الى صديق ياباني» الى أن هذه التسمية مجهولة في فرنسا .

نبذة عن حياته وعرض عن مؤلفاته : ولد بالجزائر سنة 1930 ، من االصل يهودي ، غير أنه يعد نفسه يهودياً بالأصل ، وليس بالفعل ، أي أنه لا يمارس الدين اليهودي ، ولا يؤمن بفكرة اليهودي المضطهد ، ولا بأسطورة أرض الميعاد ، درس الفلسفة بدار المعلمين العليا بباريس على يد الأستاذ جان هيبلوليت ، وهو «أعظم شراح هيغل» ، كما يصفه عمر مهيبل في كتابه «البنوية في الفكر الفلسفي المعاصر» ، ثم أصبح أستاذاً لتاريخ الفلسفة بنفس المؤسسة ، وارتبط اسمه بثورة الطلاب في فرنسا سنة 1968 ، حيث أسهم بأفكاره بفعالية

(☆) أنظر : عمر مهيبل «البنوية في الفكر الفلسفي المعاصر» ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1991 ، ص245 .

(1) جون ستروك «البنوية وما بعدها» ترجمة د. محمد عصفور ، سلسلة «عالم المعرفة» الكويتية ، فبراير 1996 ، ص216 .

فيها ، ومنذ ذلك الحين ذاع صيته ، واشتهر بنقده اللاذع والجارح ، للويس ألتوسير ، وميشال فوكو ، اللذين اتخذا موقفاً معارضاً لمظاهرات الطلاب تلك[2] . وأصدر عدداً من المؤلفات نشر معظمها في شكل مقالات ، قبل أن يطبعها في كتب ، وتتناول موضوعات نظرية ونصوصاً مختلفة في الفلسفة والأدب وعلم اللغة ، نذكر منها ما يلي :

1 – **أصل الهندسة** «l'origine de la géométrie» : وهو ترجمة لكتاب للفيلسوف الألماني هوسيرل يحمل نفس العنوان ، نشره دريدا سنة 1962 مع مقدمة في مائة وسبعين صفحة حلل فيها وجهة نظر هذا الفيلسوف الذي شرح الكيفية التي تصبح فيها الهندسة موضوعاً مثالياً وذلك عن طريق تحويل الأفكار في ذهن المشتغل بالهندسة الى براهين عن طريق اللغة . ونقد الحل الذي قدمه هوسيرل ، المتمثل في اللغة ، وخلص الى القول بأن ذلك الحل يضم في ثناياه المشكلات التي ظن هوسيرل أنه حلها . وهي مشكلات العلاقة بين الحدث والبنية ، وبين التجريبي والمثالي ، وبين الكلام والكتابة الخ ... تلك المشكلات التي غدت الموضوع الرئيسي الذي تناوله معظم كتابات دريدا .

2 – **عن علم الكتابة** «de la grammatologie» : وقد أصدره سنة 1967 ، وفي هذا الكتاب يخالف دريدا نظرية فرديناند دي سوسير وأتباعه الذين أعطوا في أبحاثهم اللغوية الأهمية للكلام ، واهملوا الكتابة ، وهو الموضوع الذي سوف نعود إليه بعد قليل .

3 – **الكتابة والاختلاف** «ecriture et différence» : أصدره سنة 1967 ، وفيه يحلل منهج ليفي ستروس في تفسير الظواهر ، ويرى أن ليفي ستروس يستعمل نظريتين : واحدة تنظر الى الخلف ، وتحاول أن تبني تصوراً عن معنى أصلي أو حقيقة أصلية ، وهو يلتقي في هذا مع الفلاسفة الغربيين عامة ،

---

(2) عمر مهيبل ، مرجع سابق ، ص245 .

الذين كانوا محل نقد ونقض من قبل دريدا . والأخرى تنظر الى الأمام وتميل صراحة الى عدم تثبيت المعنى ، ويفضل دريدا هذه النظرة الأخيرة ويعتبر ستروس لأجل ذلك رسول «التعامل الحر» مع الظواهر والأفكار .

4 - **الصوت والظاهرة** «la voix et le phénoméne» : أصدره أيضاً سنة 1967 ، هذا الكتاب خصصه للتحليل الفلسفي ، ويتناول فيه نظرية هوسيرل عن الرموز les signes ، وخاصة فكرتي الصوت والحضور ، ودورهما ومكانتها في الفينومينولوجيا ، حيث يرى هوسيرل أن الرموز إشارات للمعنى مستمدة من غيرها ، ولا تقوم بذاتها ، وأن المعنى بدوره هو ما هو حاضر في الوعي لحظة الكلام ، ويرد دريدا أن المعنى استنادا الى وصف هوسيرل نفسه للزمن لا يمكن أن يكون كما أراد له حضوراً بسيطاً ، وشيئاً قائماً بذاته ، بل هو دائماً جزء من نظام من الآثار traces والتقابلات ، وهو نظام يفوق أي لحظة راهنة .

5 - **حواشي الفلسفة** «marges de la philosophie» : أصدره سنة 1972 ، ويتكون من عشر مقالات يتناول فيها عدة أفكار ونظريات عند مجموعة من الفلاسفة ، مثل ميتافيزيقا الحضور عند هايدغر ، والرمز عند هيجل ، ويتناول مدرسة جنيف اللغوية ويناقش نظرياتها ، ويخلص الى القول أن النظريات اللغوية مثلها مثل المذاهب الفلسفية الغربية عامة تنبني كلها على ما يسميه بتمركز اللوغوس ، أو مركزية الكلمة ، ويشترك فيها دي سوسير مثل روسو على السواء .

6 - **الانتشار** «dissémination» 1972 : ويتضمن ثلاث مقالات ومقدمة طويلة ، المقالة الأولى وهي دراسة لفكرة الكتابة عند أفلاطون ، ويعطيها عنوان : صيدلية أفلاطون la pharmacie de platon ، ويركز على لفظة pharmakon ، التي تحمل معنى مزدوجاً : السم والترياق في آن واحد ، ويرى دريدا أن هذه اللفظة تلعب دوراً استراتيجياً في منطق أفلاطون .

والمقالة الثانية تحمل عنوان : double séance يقتبس فيها نصاً من مالارميه لمناقشة فكرة المحاكاة عند هذا الشاعر ، وعند بعض الكتاب الآخرين ، وبالأخص : أرتونان أرتو ، وجورج باتاي ، حيث يجد لديهم موقفين ، أو سلوكين ، يتمثلان كما يقول في حركة داخل - ميتافيزيقية ، وحركة أخرى تشكل نقضها ، ويرى أن هذا السلوك يتبدى لدى أرتو وباتاي أكثر مما يتبدى لدى مالارميه .

والمقالة الثالثة تحمل عنوان الانتشار dissémination وتناول فيها رواية تجريبية لفيليب سولارس عنوانها nombres عالج فيها فكرة الانتشار التي تعني : البعثرة الدلالية التي تنتجها آثار مختلفة من التراتيب أو التشابهات ، التي لا يمكن السيطرة عليها أبدا . وهو كما يقول أحد الدارسين لفكر دريدا أصعب كتبه وأقلها جاذبية .

7 - **مواقف «positions» 1972 :** وهو عبارة عن ثلاث مقابلات صحفية الأولى implication وهي تعليق عام على مجمل أعماله . والثانية بعنوان : sémiologie et grammatologie وهي عبارة عن شرح موجز عن نظرية الرمز عامة ، ونقد دريدا لها . والثالثة بعنوان مواقف positions وتشرح مفهوم التفكيكية عنده . ومواضيع أخرى منها التاريخ والماركسية ، ورأيه في أبحاث جاك لاكان في التحليل النفسي البنيوي .

8 - **نواقيس جنائزية «glas» 1974 :** وقد ذاع صيت هذا الكتاب للطريقة الجديدة التي يعرض بها أفكاره ، فهو يقسم الصفحة الى عمودين متماثلين ، يقدم في العمود الأيسر قراءة لهيجل ، انطلاقاً من سيرته الذاتية ، والعائلية ، ويحلل مفهوم العائلة عند هيجل بما في ذلك السلطة الأبوية والمعرفة المطلقة ، والعائلة المقدسة ، والحمل الطاهر ، ويقابله في العمود الأيمن بقراءة لجان جينيه ، من خلال سرده لمغامراته في الحياة وفي الكتابة ، وهي مغامرات تتصف بالبوهيمية والانحراف السلوكي ، محاولا (أي دريدا) من خلال

هذه التناظرات ، خلخلة أو تفكيك المعرفة الغربية المطلقة . ويحفل هذا الكتاب ، فضلاً عن ذلك بالتناظرات الصوتية ، والسلاسل الاشتقاقية ، وبالعلاقة الإشكالية بين العمودين ، غير أنه لا يحاول من جهة أخرى ، فرض تلك التناظرات على القارئ وإنما يترك له حرية القيام بذلك بنفسه إذا شاء .

9 - الحقيقة في فن الرسم «la vérité en la peinture» **1972 :** ويضم مقالات :

- Ou Commence et Comment Finit un Corp Enseignant

- L'Age de Hegel

وتعالجان تعليم الفلسفة وإطارها الرئيسي

le facteur de la vérité ويضم تحليلاً لآراء جاكلاكان في التحليل النفسي

epérons وهي تفكيك للنظرية الإستيكية عند كانت والرومنسيين .

هذه هي مجمل أعمال دريدا ، حتى وإن لم تقدم هنا كل أعماله ، وهي كما نلاحظ تتسم بالتنوع الشديد ، وبالانتقال بين الفلسفة والأدب ، وفن الرسم ، وفن المسرح ، وعلم اللغة ، وعلم النفس ، وتتسم أعماله بالصعوبة الشديدة ، بسبب هذا التنوع ذاته ، ولكن أيضاً بسبب ابتكاراته الدائمة وتجديده في تناول الموضوعات ، واختياره لمصطلحات غامضة وذات دلالات متعددة ومتجددة ، باستثناء مصطلحين ظلا يلازمانه منذ إصداره لترجمة أصل الهندسة لهوسيرل سنة 1962 ، وهما مصطلحا التفكيك والاختلاف ، ومن هنا يصعب الحديث عن شيء اسمه منهج دريدا ، وهو نفسه ينفي وجود منهج خاص به ، بل وينفي أن يكون لديه نظرية معينة يمكنها أن تلم بالأدب واللغة والفلسفة ، أو أنه يقدم بديلاً عن الميتافيزيقا الغربية . غير أنه ما دامت أعماله تقرأ ويتعامل معها الناس ، فإنهم يتعاملون معها على أساس أنها نظرية لها مفاهيمها المركزية ، ومناهجها التحليلية ، وآراؤها العامة حول طبيعة اللغة والنصوص ، وعلى هذا يمكن أن نقول بأن دريدا حاول أن يثبت بوصفه فيلسوفاً ، وقارئ نصوص فلسفية ، أن التراث الفلسفي الغربي ظل دائماً

متشبّعاً بما يسميه مركزية الكلمة ، أو le logocentrisme ، أو بتعبير آخر ميتافيزيقا الحضور ، فبين أن صيغ الفلسفة الغربية وأطروحاتها المختلفة ، سواء المثالية منها أو المادية ، لم تكن إلا صيغاً من نظام واحد وهو نظام تمركز اللوغوس .

ومن هنا جعل مهمته أن يتغلغل الى داخل ذلك النظام الهرمي الذي أقامته تلك الفلسفة ليفكك أجزاءه ويشرح آلياته ، ويبين تناقضاته . ولأجل هذا الغرض يرسم استراتيجيته التي يقوم عليها منهجه ، وتتمثل في التموضع داخل الظاهرة ، وتوجيه ضربات متوالية لها من الداخل . كيف ذلك ؟ يقول دريدا ؛ يكون ذلك بطرح أسئلة عليها ، تظهر أمامها من تلقاء نفسها عجزها عن الإجابة عنها ، وتفصح عن تناقضها ، وكخطوات منهجية ينتقل فيها السؤال من طبقة معرفية الى طبقة أخرى ، ومن معلم الى معلم ، حتى يتصدع الكل ، وهذه العملية هي ما دعوته بالتفكيك .

ويرى دريدا أن كل النصوص ، مهما كان نوعها : فلسفية ، أدبية ، نقدية ، تخضع الى هيمنة نظم فلسفية كلاسيكية ، وتنطوي على نقيضها من ذاتها ، فليس هناك نص متجانس ، وهذا بالذات هو ما سهل له مهمته من الناحية المنهجية ، هناك في كل نص ، كما يضيف ، قوة تفكيك تساعد على استنطاقه . يقول : إن ما يهمني في القراءات التي أحاول القيام بها ، ليس النقد من الخارج ، وإنما الاستقرار أو التموضع في البنية غير المتجانسة للنص ، والعثور على توترات ، أو تناقضات داخلية يقرأ النص من خلالها نفسه ، ويفكك نفسه بنفسه .

نقده لسوسير وروسو :

وجد دريدا في سوسير نقداً قوياً في متافيزيقا الحضور ، أو ما يدعوه بمركزية الكلمة ، وفي مناقشته له يقول : إن ما يحدد هوية الرمز عند سوسير

ليس صفة جوهرية فيه ، ولكن الاختلافات التي تميزه عن غيره من الرموز الأخرى . هذا يعني أن لا وجود لحضور بسيط مكتمل من جهة ، ومن جهة ثانية فهو يحدد الهوية من خلال الغياب المعتاد ، وليس من خلال الحضور .

لكن مركزية الكلمة يؤكدها سوسير من خلال تركيزه على النطق ، أو الكلام ، وجعل الكتابة ثانوية ، لأنها ليست إلا وسيلة لتمثيل الكلام ، ولذا فلا حاجة لأخذها بعين الاعتبار عند دراسة اللغة .

الكتابة عند سوسير التي يفترض أن تكون وسيلة لخدمة الكلام ، تهدد في نظره بتلويث صفاء النظام الذي تخدمه ، والكتابة ليست إلا ترميزاً للكلام ، أي شكلاً مكملاً له ، وهو هنا يلتقي مع روسو في ما يسميه منطق التكملة la logique du supplément مثال على ذلك قول روسو : «إن التربية تكمل الطبيعة ، وهذا يولد مفهوماً معقداً للطبيعة ، فهي شيء مكتمل بذاته تضاف له التربية ، وشيء ناقص ، أو غير كاف لابد أن يستكمل بالتربية حتى يكون هو نفسه حقا . وهكذا فإن منطق التكملة يجعل الطبيعة هي الكلمة الأولى ، يجعلها امتلاء كان موجوداً منذ البداية ، ولكنه يكشف عن افتقار أو غياب كامن فيها ، ويجعل التربية شيئاً خارجياً مضافاً ولكنه شرط أساسي لذلك الذي تكمله ، إن منطق التكملة كما يصفه دريدا قوي واسع الانتشار ، وهو يجعل كل شيء نعتبره إنسانياً أثراً ممكناً : اللغة ، العاطفة ، المجتمع ، الفن . وما إن نتنبه الى وجوده حتى نجده يفعل فعله في أشد السياقات اختلافاً . فنحن نتعامل مع منطق التكملة عندما نرى شيئاً يتصف بالهامشية بالنسبة لآخر مكتمل ، كالكتابة التي نعدها هامشية بالنسبة للكلام ، وكالانحراف بالنسبة للحياة الجنسية السليمة ، عندما نرى أن ذلك الشيء قد حل محل الشيء المكتمل ، أو نعتبره قادراً على إكماله .

إذن ، فالصفات التي تصورناها مميزة لما هو هامشي هي في الواقع الصفات التي تحدد هوية الموضوع المركزي الذي نحن بصدده ، أي أن الاكتمال المزعوم

مسكون منذ البداية بـ la différance ، أي بتجزؤ المكتمل ، وتأجيل تمامه ، في حين أن الكتابة تلك التكملة الهامشية هي في الواقع الشرط المكون للغة ذاتها .

يرجع سبب تفضيل دي سوسير وأتباعه - حسب ما يرى دريدا - الى مركزية الذات ، أو الكلام ، حيث الحضور هو حجر الزاوية في نظرية اللغة والاتصال ، والذي هو شيء مشترك في التراث الفلسفي الغربي عامة ، ولذلك فأي إخلال بمركزية الذات يكون إخلالاً بالبنية الميتافيزيقة برمتها .

وسوسير نفسه يعود الى الكتابة ليوضح أفكاره : حرف T مثلاً يمكن أن يكتب بطرق عديدة ، ما دام مختلفا شكله عن الحرف D و I و F و L إلخ ، وليس هناك في الحرف T من الصفات الأساسية التي لابد من الاحتفاظ بها فهوية هذا الحرف علائقية خالصة .

هكذا يتضح أن الكتابة التي زعم سوسير أنها يجب أن لا تكون موضوعاً للبحث اللغوي تقوم على نفس المبادئ التي يقوم عليها الكلام نفسه . وعليه فهي عملية بلاغية (مركزية الكلمة) وليست أساساً ، وهنا نرى منطق التكملة . ويمكن أن نعكس العملية : بدل أن نتعامل مع الكلام باعتباره حضوراً ، نتعامل مع الكتابة باعتبارها تبديا للاختلافات ، وانتشاراً للآثار والتكرارات .

نقده لميتافزيقا الحضور :

تعرض دريدا أول ما تعرض لنقد ميتافزيقا الحضور لدى هوسيرل في كتاب «الصوت والظاهرة» ، كما سبقت الإشارة ، لكنه عاد إليه مع هايدغر ، ومع روسو ، ومع سوسير ، ورأى أنه أساس كل الفلسفة الغربية ، ويتحلى بشكل خاص في الكوجيتو الديكارتي «أنا أفكر ، إذن أنا موجود» حيث تعتبر الأنا خارج مجال الشك لأنها حاضرة لنفسها في فعل التفكير ، ولذا فإن مقوله أنا موجود ، فيما يقول ديكارت ، صحيحة بالضرورة كلما لفظتها أو تصورتها

في عقلي ، ويضرب دريدا أمثلة أخرى عن ميتافزيقا الحضور ، يضيق المجال بسردها ، ويخلص من ذلك الى القول : إن فكرتنا الشائعة أن اللحظة الراهنة هي ما هو موجود ، أما المستقبل فسوف يوجد ، والماضي وجد ، هذا التصور ينطوي على مفارقة ، لأن الصحيح في نظره أن حقيقة كل منها تعتمد على حضور الحاضر ، فالمستقبل حضور متوقع ، والماضي حضور سابق ، ويحتاج تفسير ما يحدث الى الرجوع الى لحظات ليست حاضرة .

ويبلغ من تشبع لغتنا بميتافزيقا الحضور أنها لا تعطينا إلا هذا البديل فيما يبدو : إما أن يكون الشيء حاضراً أو غائباً مثال آخر : مفارقة البنية والحدث Aporia فنحن نميل الى اعتبار أن ما ندعوه معنى كلمة من الكلمات يعتمد على كونها استعملت من قبل متكلمين في مناسبات مختلفة بنية التعبير عن هذا المعنى أو نقله ، ولذا فإننا قد نقول إن ما يدعى بشكل عام ببنية اللغة – النظام العام لقواعدها وما يطرد فيها – مستمد من الأحداث ، ويتحدد بموجبها ، أي بأفعال الاتصال . ولكننا لو أخذنا هذه الفكرة مأخذ الجد وبدأنا بالبحث عن الأحداث التي يقال إنها تحدد البنيات ، لوجدنا أن كل حدث من هذه الأحداث قد حددته بنيات سابقة ، وجعلته ممكناً . فإمكان أن نعني شيئاً بألفاظ أمر منوط ببينة اللغة قبل النطق بها . لاشك أن البنى هي أيضاً دائماً منتوجات ، ولكن مهما عدنا الى الخلف ، وحتى عندما نفكر بمولد اللغة نفسها ، ونحاول أن نصنف حادثة بدأت معها أول بنية ، فإننا لابد أن نفترض تنظيماً سابقاً بين مختلفات ، ولكن يكتشف إنسان الكهوف أن ينجح في ابتكار اللغة يجعله همهمة ما تعني شيئاً مثل الطعام ، إلا افتراضاً أن هذه الهمهمة تختلف عن همهمات أخرى ، أو يمكن تمييزها عنها ، وأن العالم كان قد انقسم الى طعام ولا طعام . إن الدلالة تعتمد دائماً على المقابلة ، مثلاً بين الطعام واللاطعام ، وهي المقابلة التي تجعل من الممكن الدلالة على الطعام . وعندما نفكر لا بالمفاهيم بل بدوال لغة من اللغات ،

فإننا نجد أن المبدأ نفسه يصح ، فسلسلة الأصوات «بات» مثلا لا يمكنها أداء وظيفتها ، باعتبارها رمزاً ، إلا لأنها تختلف عن ذات ، وفات ، ومات ، وقات ، وباد ، وبوت الخ .. فالصوت الذي نحدثه عندما نلفظ كلمة بات ، تضم في ثناياها آثاراً من هذه الرموز التي نفضلها ، وكما رأينا في حالة الحركة ، فإن ما هو حاضر هو ذاته معقد يعتمد على سلسلة من الاختلافات ، وقد توسع دريدا حول هذا المفهوم في «مواقف» . إن الأحداث الدالة تعتمد على الاختلافات ، ولكن هذه الاختلافات هي نفسها نتاج أحداث .

إضافتان

معنى الاختلاف ؟

الاختلاف عند دريدا هو كما يعرفه أحد الباحثين : التبدي المنظم للاختلافات والتمييزات ، وقد استعمل دريدا لفظة الاختلاف différence كما يقول وهو مصطلح أساسي من مصطلحات نيتشه وفرويد وسوسير فقد وجد هؤلاء المفكرون في بحثهم في نظم الدلالة أن عليهم أن يركزوا على الاختلافات والتمييزات ، غير أن دريدا ، وانطلاقاً من نقده لمفهوم الاختلافات عند هؤلاء ، يدخل تعديلاً على شكل اللفظة ويكتبها différance ، باستبدال الحرف (e) بالحرف (a) ، لتصبح ذات دلالة مزدوجة ، مستفيداً من منطق اللغة الفرنسية الذي يمنح اللاحقة اللغوية ance معنى الفعل وطاقته ، أي ما يقابل المصدر في اللغة العربية ، غير أن اللفظة بهذا الشكل ، تصبح كما صرح دريدا نفسه في إحدى المقابلات الصحفية ، تتعارض مع الكلمات المتحدرة من التراث اللاتيني ، وغير قابلة لأن تستبدل بمفردة أخرى . ولفظة différance لا يتضح معناها ، كما يضيف إلا من خلال سلسلة من المفردات الأخرى التي تعمل معها ، مثل الكتابة ، والأثر la trace ، أو الزيادة ، أو الملحق le supplément ، وهي جميعاً كما يقول كلمات مزدوجة القيمة ، أو ذات قيمة غير قابلة للتعيين .

فالأثر كما يشرح هو ما يشير وما يمحو في الوقت ذاته ، و pharmakon المفردة الأفلاطونية تعني السم والترياق في آن واحد . lymen عند ستيفان مالارميه لها معنيان جنسيان متضادان ، ويجمل القول بأنها كلمات وليست مفهومات ، وليست قابلة للفصل عن اللغة .

مفهوم التفكيك :

سأله أستاذ ياباني كان منشغلاً بترجمة أفكار دريدا الى اليابانية أن يشرح له معنى لفظة «تفكيكية» ، déconstruction حتى يساعده ذلك على ترجمتها بدقة الى اليابانية ، فأجاب دريدا برسالة مطولة ، من ضمن ما جاء فيها : لقد كان الانطلاق من محاولة ترجمته للمفردة الهايدغيرية distruktion ، وتعني عنده وعند غيره من الفلاسفة الألمان ما يدخل من تعديلات على بنية المفهومات المؤسسة للأنطولوجيا ، أو الميتافيزيقا الغربية ، غير أنه وجد الكلمة اذا نقلت بجميع حروفها الى اللغة الفرنسية صارت أقرب ما تكون في معناها الى كلمة dimolution «الهدم» ، ولذلك تخلى عنها ، وراح يبحث عن كلمة أكثر ملاءمة ، ووجد ضالته في كلمة deconstruction (تفكيك) ، التي تعني من جملة ما تعني ، كما نص عليها قاموس «ليتري» «أداء مكائني» ، و«تفكيك أجزاء كل موحد» ، والتفكيك : «فقدان الشيء بنيته» se déconstruire : perdre sa construction وقد كان الأمر بالنسبة إليه يتعلق بحل ، أو فك ، أو نزع رواسب البنيات المتجذرة في الفكر الفلسفي أو في تمركز «اللوغوس» حسب تعبيره . ومع ذلك ، يقول دريدا فقد ظل الجانب السلبي في العبارة غالباً ، لاسيما باستعمال البادئة déconstruction . أما استعمال مصطلح ما بعد البنوية أو post-structuralisme ، فيقول عنه دريدا إنه قادم من الولايات المتحدة ، كما سبق أن أشرنا .

والتفكيك وبأية حال من الأحوال ، ورغم المظاهر كما يقول ، ليس تحليلاً analyse ولا نقداً critique ، لأن تفكيك عناصر بنية لا يعني الرجوع الى العنصر

البسيط ، الى أصل غير قابل لأي حل ، وهو ليس نقداً بالمعنى الـ ـام ، أو الكانطي (نسبة الى كانط) (القرار ، الاختيار ، الحكم ، التحديد) لأن النقد يشكل أحد الموضوعات أو الأشياء الأساسية التي يستهدفها التفكيك .

والتفكيك ليس منهجاً ، كما يضيف ، ولا يمكن تحويله الى منهج ، ومن هنا يكون ذلك السجال الذي نشأ وتنامى في بعض الأوساط الجامعية لا معنى له ، والذي دار حول ما اذا كان في الإمكان أن يتحول التفكيك الى منهج للقراءة والتأويل ؟ وهل يمكن أن يسمح باحتوائه على هذا النحو ، وتدجينه من قبل المؤسسات الأكاديمية .

ويخلص دريدا في نهاية رسالته الى صديقه الياباني الى القول : إنني لا أملك إجابة بسيطة وقابلة للصياغة على هذا السؤال الشائق .

ثم يسأل : ما الذي لا يكون التفكيك ؟ ويجيب : كل شيء ؛ ما التفكيك ؟ لا شيء .

أحمد منور
أستاذ الآداب الأجنبية
معهد اللغة العربية وآدابها - جامعة الجزائر